الهِمّة

بلوغ القمة في علو الهمة ، والفوز بالمقصود ببذل المجهود ، ومن جد وجد ، ومن زرع حصد ، والسابقون السابقون أولئك المقربون ، ومتى علت الهمة فلا تقنع بالدون ولا ترضى بالذل ، ولا تخضع للهوان ، ولا تستسلم للخور .

وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسام

ما تأخر المسلمون إلا بتأخر هممهم ، وما ضعفوا إلا حينما ضعفت عزائمهم ، وما ذلوا واستكانوا إلا حينما رضوا بالدنيا ، وتبايعوا بالعينَة ، وأخذوا بأذناب البقر ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ .

يوم أن كانت الهمم عالية ، والعزائم شامخة ، والنفوس متوثبة ، والقلوب حية ، والبصائر نقية ، والآمال بعيدة ، والأهداف مجيدة ؛ هزّ المسلمون الدنيا ، وأيقظوا التاريخ ، وأذهلوا الزمان ، وَأَقَضُّوا مضاجع الكفر والطغيان . وفي قرن من الزمان أصبحوا سادة الدنيا ، غرسوا ألوية الحق في قلب آسيا ، وارتفع أذانهم في أدغال إفريقية ، وأطراف أوروبا ، وطار صيتهم من شرق الأرض إلى غربها . ذلك التاريخ المتوهج ، والمجد

المتألق ، إنما كان ثمرةً للهمم الشامخة ، والمبادئ الراسخة ، همَمٌ تتحدى الجبال ، وعلم وإيمان بالواحد المتعال ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر:١٨].

ما أحوجنا في مثل هذه الأيام إلى إشعال جذوة الهمم في النفوس ، وبث روح العزائم في القلوب . هل حَدَّث المربون والمعلمون أنفسهم بأن ينطلقوا في رحلتهم السامية بهمم قوية ، ونوايا سامية ، وعزائم خلاقة؟ وهل حدث الطلاب أنفسهم بأن يقبلوا على العلم بقلوب مؤمنة ، وأنفس متوثبة ، وهمم سامقة؟ ، هل استعادوا بعد الإجازة نشاطهم ، واستردوا حيويتهم ، واشتاقوا إلى مقاعد الدرس ، ومراتع العلم ، ومغارس المعرفة؟ أم أن القنوات الفضائية والشهوات الأرضية ، والسهرات الشبابية قد ملأت القلوب عجزاً ، وأترعت الأجسام كسلاً ، وشحنت الأذهان عفناً ؛ فأخلدوا إلى الدنيا ، واثّاقلوا إلى الأرض ، واستأنسوا بالخمول ، وارتاحوا للتّوافِه ، وعانقوا الآثام ، وصادقوا الخطايا ، وكرهوا لقاء المجد ، وسخطوا من تلقي العلم؟!.

من يَهُن يسهل الهوان عليه
ما لجرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

الهمة سمة المؤمن ، وآية المسلم ، وعلامة الجاد ، وعنوان النبوغ ، ودليل التفوق ؛ الهمة العالية لا تعطي الدنية ، ولا تقنع بالسفاسف ، ولا تخلد للعجز .

فانهض إلى صهوات المجد معتلياً
فالباز لم يأو إلا عالي القلل
وَدَعْ من الأمر أدناه لأبعده
في لجّة البحر ما يغني عن الوشل

الهمة قلبٌ جياش ، ونفسٌ تواقة ، وهدفٌ سام ، وأمل بعيد ، وطموح مستمر . الهمة حرص على النبوغ ، ورغبة في المجد ، ومصارعة للمخاطر ، وتَحَدٍّ للمتاعب ، ومنازلة للمصاعب ، إنها قلب حي ، وفكر نير ، ونفس شامخة ، وروح متوثبة .

لقد علمنا الإسلام علو الهمة حتى في الدعاء ومخاطبة المولى جل وعلا ، فقال ﷺ : «إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنه سِرُّ الجنة» [رواه البخاري] – أي أفضل موضع فيها – .

وقال ﷺ : «إذا سأل أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه عز وجل» [صحيح الجامع] .

فيجب على المسلم أن يكون عالي الهمة ، قوي العزيمة ، متوقد القريحة ، يقول ابن القيم – رحمه الله – : (إن ضعف الإرادة والطلب ، من ضعف حياة القلب ، وكلما كان القلب أتم حياةً كانت همته أعلى ، وإرادته ومحبته أقوى ، فإن الإرادة والمحبة تتبع الشعور بمراد المحبوب ، وسلامة القلب من الآفة .

وضعف الطلب وفتور الهمة إما من نقصان الشعور والإحساس ، وإما

من وجود الآفة المضعفة للحياة . والحياة الطيبة إنما تنال بالهمة العالية ، والمحبة الصادقة ، والإرادة الخالصة . وأخس الناس حياةً أخسهم همة ، وحياة البهائم خير من حياته .

إن الهمم متفاوتة حتى عند الحيوانات ، فالعنكبوت من حين يولد ينسج لنفسه بيتاً ، ولا يقبل منَّة الأم أو مساعدتها ، والحية تسكن ما حفر غيرها لأن طبعها الظلم ، والغراب يتبع الجيف ، والصقر لا يقع إلا على الحيّ ، والأسد لا يأكل البائت ، والفيل يتملق حتى يأكل ، والجعلان لا يرضى بمهنته بدلاً ، ولو وضعته في بستان من الورد لهرب . ومن أمثالهم : قيل للجعلان : لماذا امتهنت هذه المهنة ، قال : لسقوط همتي .

وفي الشريعة الإسلامية الكلب المعلم أفضل من الكلب الجاهل ، فيجوز أكل صيد الكلب المعلم ، ويحرم أكل صيد الكلب الجاهل .

فإذا علت الهمم ، جدت في كسب الفضائل ، وسعت لتحقيق الأماني ، وتجافت عن النقص .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

وقد أجمع العقلاء من كل أمة ، على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن

من آثر الراحة فاتته الراحة ، وأنه بحسب ركوب الأهوال، واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة ؛ فلا فرحة لمن لا همة له ، ولا لذة لمن لا صبر له ، ولا نعيم لمن لا شقاء له ، ولا راحة لمن لا تعب له بل إذا تعب العبد قليلاً استراح طويلاً ، وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى ، كان تعب البدن أوفر ، وحظه من الراحة أقل .

بَصُرْتُ بالراحة الكبرى فلم أرها
تُنال إلا على جسرٍ من التعب

فيا أيها المعلم الجاد ، ابدأ عامك بهمة عالية ، ونية صافية ، وإرادة قوية ، ثم اسكب شذا همتك الزكي في قلوب ناشئة الإسلام ، وشبيبة الإيمان ، فإنهم يقتدون بك ، ويتعلمون منك ، ويسيرون بتوجيهك . ويا أولياء الأمور ، بثوا في نفوس أبنائكم وبناتكم روح الهمم العالية ، والعزائم الشامخة ، والآمال البعيدة ، والأمنيات الخلابة . ويا أيها الطلاب والطالبات ، ابدؤوا عامكم هذا بأنفس تواقة ، وأفكار خلاقة ، وأخلصوا نياتكم ، وزكّوا أنفسكم ، وأقبلوا على دروب العلم والمعرفة بهمم تتحدى الصعاب ، وأنفسٍ تأنف الذل ، وتأبى الخمول . فالعلم سرّ تفوق الأمم ، وعنوان حضارتها ، وطريق رياستها . أنتم في زمن تصارعت فيه الأفكار ، وحارت فيه الألباب ، واختلطت فيه المفاهيم ، ولا سبيل لكم إلى اختراق هذا الظلام الدامس إلا بنور العلم ، ومصابيح المعرفة . فاحرصوا على ما ينفعكم ، واستعينوا بالله ولا تعجزوا .

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله
ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس في طلب العُلا
يسيراً يعش دهراً طويلاً أَخَا ذلٍّ

وهذه بعض النماذج الفذة من تاريخ أرباب الهمم الشامخة ، والعزائم السامقة لبعض طلاب العلم والمعرفة ، نسوق طرفاً منها لأخذ العبرة ، ونيل العظة ، وتذكير النفوس ، وإحياء القلوب ، قال تعالى : ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ**﴾ [يوسف : ١١١] .

هذا معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما حضرته الوفاة قال : «اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لكري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل ، ولظمأ الهواجر في الحر الشديد ، ولمزاحمة العلماء بالرُكَب عند حِلَقِ الذِّكْر» .

ومعاذ بن جبل هو سيد العلماء ، إذا حضر العلماء يوم القيامة يأتي معاذ قبلهم برمية حجر ، مع أن مدة تحصيله للعلم هي حوالي عشر سنوات ، ولكنها الهمة العالية! .

وهذا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : «والذي لا إله غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ، ولا أُنزلَتْ آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه» .

وهذا جابر بن عبد الله رضي الله عنه يرحل إلى الشام من أجل حديث واحد من أحاديث المصطفى ﷺ ، رحلة رواحها شهر وغدوُّها شهر .

وهذا عطاء بن أبي رباح - رحمه الله - كان أسود أعور أفطس أشلّ أعرج ، ثم عمي ، كان ركناً من أركان العلم ، وأميراً للمؤمنين في الحديث ، وكان فراشه في المسجد عشرين سنة لتحصيل العلم . وحج أكثر من سبعين حجة ، وأسندت إليه الفتوى في عهد بني أمية .

وهذا سفيان الثوري - رحمه الله - بلغ عدد شيوخه ستمائة شيخ ، وعدد الرواة الذين رووا عنه يربو عن الألف .

وهذا علي بن عاصم مُسْنِد العراق ، أعطاه أبوه وهو شاب صغير مائة ألف درهم ، وقال له : اذهبَ ولا أرى لك وجهاً إلا بمائة ألف حديث ، فعاد إلى والده بمائة ألف حديث ، وكان يجتمع إليه من الطلاب ثلاثون ألفاً .

وهذا شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك - رحمه الله - حمل العلم عن أربعة آلاف شيخ .

وهذا يحيى بن معين - رحمه الله - الإمام الحافظ شيخ المدينة يقول: كتبت بيدي ألف ألف حديث ، وهو الذي يقول لو لم نكتب الحديث خمسين مرة ما عرفناه .

وهذا أمير المؤمنين في الحديث - رحمه الله - وصاحب أعظم كتاب في الإسلام بعد القرآن ، وهو محمد بن إسماعيل البخاري ، يقول :

أخرجت هذا الكتاب من زُهَاء ستمائة ألف حديث ، وما وضعت في كتابي حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين ، ويقول : كتبت عن ألف شيخ ، ورويت عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر ، وما عندي حديث إلا أذكر إسناده .

هذه نُبَذٌ موجزة تعطيك دليلاً على عظمة أولئك الرجال ، وعلو هممهم ، وأنهم ما نالوا عزة الدنيا والآخرة إلا بعلو الهمم ، وقوة العزائم ، وصفاء النوايا . وَقِسْ عليهم غيرهم من علماء الأمة ، وعظماء التاريخ ، وقمم البشرية ، الذين عُمِرت القلوب ، وزكت النفوس ، وأنيرت العقول بنور جهودهم ، ونتائج هممهم . رحمهم الله جميعاً وجمعنا بهم في جنات النعيم ، ورزقنا السير على منوالهم .

obeikandl.com

آفـــة الجهـــل

قال المصطفى ﷺ : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جُهّالاً ، فَسُئلوا فأفتوا بغير علم ، فَضَلّوا وأضلوا» [متفق عليه] .

الجهل كارثة عظمى ، ومصيبة كبرى ، ومصير أسود ، وظلام مطبق ، وخطر محدق . الجهل جائحة على الدين ، ونازلة بالعلم ، وفاجعة للأمم ، إذا خيم في مكان خيم معه الشيطان ، فأقام أركانه ، وشيد بنيانه ، وإذا حل بأرض ، حل معه الدمار ، والهلاك ، والفساد والفجور ، والعجز . والجاهل عدو نفسه ، وعدو غيره ، وكفى بالجهل نقيصة أن لا أحد يرضى بالانتساب إليه ، فهو نقيض العلم ، وعدو الفهم ، ما تفشى الجهل في أمة إلا دمرها ، وما خيم في بلاد إلا أهلكها ، وما استوطن في ديار إلا محقها.

ما عبد مع الله غيره إلا بالجهل ، وما حورب أنبياء الله إلا بالجهل، وما تجرأ الناس على المعاصي إلا بسبب الجهل ، وما زهد الناس فيما عند الله إلا بالجهل ، وما حورب الإسلام ودعاته إلا بالجهل ، وما طاف أرباب القبور على القبور إلا بالجهل ، وما دعي غير الله إلا بالجهل ، وما عبد

الناس الدرهم والدينار إلا بالجهل ، وما تخلف المسلمون عن غيرهم إلا بالجهل .

وإنّ قصدنا بالجهل هنا الجهل بالله تعالى وكتابه وسنة نبيه ﷺ ، ولا نقصد به الجهل بمظاهر الحياة الدنيا ، وأسباب الحضارة المادية ، فالعلم بهذه الأمور إذا لم يكن معه العلم بالله وكتابه ، وسنة نبيه ﷺ فلا قيمة له ، ولا بركة فيه ، وقد ذم الله تعالى أربابه وسفه أصحابه ، فوصفهم بعدم العلم ، حتى وإن علموا شيئاً من مظاهر الحياة ، ومباهج الدنيا ، فقال سبحانه : ﴿ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ [الروم : ٧].

وقد وصف الله تعالى أعداءه بأن أكثرهم يجهلون ، ووصف تعالى المعرضين عن شرعه ، والمتنكرين لهديه ، بأنهم كالأنعام بل هم أضل منها وليس معنى ذلك أنهم أغبياء في أمور الحياة ، وجهلاء في أسباب المعيشة بل لجهلهم وإعراضهم عن العلم الأجل ، والفقه الأهم ، والفهم الأكمل ، فقال تعالى : ﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ [الفرقان : ٤٤].

وقد حذر الله تعالى أنبياءه وأصفياءه وأولياءه من طرق الجاهلين ، ومسايرة الغافلين ، ومتابعة الضالين ، فقال لنبيه محمد ﷺ ﴿ **فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأنعام : ٣٥] .

وأمره بالإعراض عنهم فقال سبحانه : ﴿ **وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ .
[الأعراف : ١٩٩]

وقال تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[البقرة : ٦٧]

وقال تعالى لنوح عليه السلام : ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ .

[هود : ٤٦]

وقال عن يوسف وهو يلوذ بربه ويسأله أن لا يجعله من أرباب المعاصي ، وأصحاب الفواحش ، وممن يجهل قدر مولاه ، وعظمة خالقه ، فقال : ﴿إِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ .

[يوسف : ٣٣]

وقال تعالى عن عباده المؤمنين : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص : ٥٥] .

وقال تعالى عنهم : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ .[الفرقان : ٦٣]

ومن أعظم عقوباته تعالى التي ألحقها بأعدائه ، وأنزلها بألدائه أن منعهم من علم كتابه ، وفهم خطابه ، ومعرفة فقهه ، فقال عز وجل : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء : ٤٦] .

وإن الجهل والغفلة صفة من صفات أهل النار : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ .

[الأعراف : ١٨]

فالجهل خلق ذميم ، وطابع وخيم ، ونهج سقيم . وقد امتن الله جل وعلا على عباده بأنه أخرجهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم فأنار بالعلم قلوبهم ، وفتح به أذهانهم ، وشرح به صدورهم ، وأذهب به أحزانهم ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ⑮ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

[المائدة : ١٦]

وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ .

[الجمعة : ٢]

وقد سخط الله على اليهود ولعنهم لأنهم علموا فلم يعملوا بما علموا، ومقت النصارى ووصفهم بالضلال لأنهم عبدوا الله على جهل .

وإن العلم بالشرع ، والفهم للعقيدة ، والفقه في الدين ، علامة بارزة للخيرية ، وسمة ناصعة للأولوية ، وهبة جليلة ربانية ، قال ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » [متفق عليه] . ومفهوم المخالفة ، أن من لم يرد الله به خيراً لا يفقهه في الدين ، وما أكثرهم في هذا الزمن ! ، فقد فقه كثيرٌ من الناس أمور الحياة ، وأسباب المعيشة ، وعلوم الدنيا ولكنهم جهلوا دينهم ، وضيعوا نهجهم ، وأطفأوا نورهم . جهلوا أن العلم بمراد ربهم وسنة نبيهم فريضة عليهم ، وضرورة لنجاتهم ، وأن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً .

وقد أمرنا الله تعالى أن نفرح بفضله ، وأن نبتهج بشرعه ، وأن نأنس بكتابه ، وأن لا يكون فرحنا بما نجمع ، وسعادتنا بما نحصد ونزرع ، فقال جل من قائل : ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس : ٥٨] ، فعكسنا مفهوم الآية ، وجهلنا حقيقة الهداية ، فأصبح فرحنا بما نجمع من الدنيا ، وسرورنا بما نرصد من الأموال إلا من رحم الله ، أما الهداية والعلم والشرع والقرآن فضاقت بها الصدور ، وحادت عنها النفوس ، وأظلمت لفقدها القلوب ، إلا من رحم ربك ، ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ**﴾ [الأنعام : ٣٦].

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه
يقاس المرءُ بالمرء ... إذا ما هو ماشاه

وقد بين الله تعالى أن شر الدواب وأسوأ المخلوقات هم الذين عطلوا منافذ العلم عن سماع الهدى وقبول الحق ، والإذعان للرشاد ، وأنهم لسوء نواياهم ، وخبث طواياهم ، حرمهم الله من نور العلم ، وبركة الفهم ، وحجب عنهم سماع الخير ، وقبول الهدى ، فقال عزّ من قائل : ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ**﴾ [الأنفال:٢٣] ، ثم يأتي بعد هذه الآية النداء لأهل الإيمان بأن لا يكونوا مثل هؤلاء في الإعراض عن الحق ، والحرب على الشرع ، والتنكب للهدى ، وأن يبادروا إلى حياة قلوبهم ، ونور صدورهم في كتاب ربهم ، ونهج نبيهم ﷺ فيقول تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ ولقد أمر المولى جل

وعلا بالفقه والتفقه ، والعلم والتعلم وأن لا ينصرف الناس عنه حتى ولو كان ذلك للجهاد في سبيله ، والحرب على أعدائه ، فقال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢].

والناس في هذه الحياة مع العلم على أربعة أصناف كما قال ابن القيم - رحمه الله - :

الأول : من رزق علماً وأُعين على ذلك بقوة العزيمة على العمل به وهذا الصنف هم خلاصة الخلق ، وهم الموصوفون في القرآن بقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [البقرة:٢٥].

والثاني : من حرم هذا وهذا - يعني لا علم ولا عمل - وهم الموصوفون بقوله : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٣] ، وهذا الصنف هم شر البرية ، وهم وإن كانوا يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، إلا أنها عليهم عمى ، لأنهم عن الآخرة هم غافلون ، وهم أناس بالصورة ، شياطين بالحقيقة ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [المنافقون : ٤].

الثالث : من فُتح له باب العلم ، وأُغلق عنه باب العمل فهذا في رتبة الجاهل أو شرٌ منه ، وجهله كان أفضل له من علمه ، فما زاده العلم إلا وبالاً وعذاباً .

الـرابـع : من رزق حظاً من العزيمة ، وحظاً من الإرادة ، وشيئاً من العمل ولكن قلّ نصيبه من العلم والمعرفة ، فهذا إذا وفّق له الاقتداء بداعٍ من دعاة الله ورسوله كان من الذين قال الله فيهم : ﴿ **ومَن يُطعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾ .

[النساء : ٦٩]

وقال – رحمه الله – : أهل الجهل والظلم الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به النبي ﷺ والظلم باتباع أهوائهم ، الذين قال الله فيهم : ﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى** ﴾ .

[النجم : ٢٣]

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « القلوب أوعية خيرها أوعاها للخير، الناس ثلاثة : فعالم ربّاني ، ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق » .

ولقد أشاد المولى بالعلم وأهله ، وبين أنهم أهل الخشية ، وذوو الرفعة وأرباب النهى . ولقد أوردنا نصوصاً عظيمة في ذلك إبّان حديثنا عن العلم .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر: ٩]

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر : ٢٨].

وقال ﷺ : «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» .

[أخرجه البخاري]

وقال ﷺ : «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاءً لطالب العلم» .

[أخرجه ابن ماجة والترمذي]

تعلم فليس المرء يولد عالماً
وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
وإن كبير القوم لا علم عنده
صغيرٌ إذا التفَّتْ عليه المحافلُ

فيجب على المسلم أن يتعلم أمور دينه ، ومطالب شرعه ، ومبادئ نهجه ، ثم إذا ما أشكل عليه أمر ، أو جهل حكماً يلجأ إلى ذوي العلم ، ويتجه إلى حملة المعرفة ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النحل : ٤٣].

فعلى المرء أن يجالس العلماء ، وأن يسألهم عن أمور دينه التي تشكل عليه ، وأن يلجأ إلى ذوي العلم والعمل ، والصلاح والتقوى .

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «اقتربوا من أفواه المطيعين ، واسمعوا منهم ما يقولون ، فإنهم تُجَلَّى لهم أمور صادقة ، وذلك لقرب قلوبهم من الله ، وكلما قرب القلب من الله زالت عنه معارضات السوء، وكان نور

كشفه للحق أتم وأقوى. والعلم نور يقذفه الله في القلب ، يفرق به العبد بين الخطأ والصواب » .

أيها الأحبة .. إن تعظيم العلماء والأدب معهم أدب مع الله ومع رسوله ﷺ : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج:٣٢] ، ومن لم يستنر بنورهم ، فهو يسير في ظلماء ، ويتيه في دهماء ، ويخبط خبط عشواء .

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً متقبلاً ، اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها ، اللهم لك أسلمنا ، وبك آمنا وعليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وبك خاصمنا ، وإليك حاكمنا ، فاغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنا ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ، اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء .

obeikandl.com

الفـــــراغ

الفـراغ : سم قـاتل ، وداءٌ مـهلك ، ومـرضٌ فـتـاك ، وخطرٌ مـحـدق ، وعدوٌ مـتربص ، الفراغ : مـفسـدةٌ للعـقـل ، مـهلكةٌ للنفس ، متلفـةٌ للدين مصـيـدةٌ للشيطان ؛ من رحـم الفـراغ تولد الضـلالة ، وفي أحـضـانه تنشأ البطالة ، وفي كنفه تعيش الشبهة .

إن الـشـــبـــاب والـفـــراغ والجـــده
مـــفـــســـدة لـلمـــرء أي مـــفـــســـده

نعـمـة الصـحـة ، وهبة الفـراغ يغـفل عنهـا أناس كـثـيـر ، ويجـهـل أمرها عـدد كـبـيـر ، التـغـافل فـيـهـا عظيم ، والتـفـاوت بسـبـبـهـا بيّن . نعـمـتـان جليلتان، ومسـألتان عظيـمـتان ، قال ﷺ : « نعـمتـان مغبـون فيـهمـا كـثير من الناس : الصحة والفراغ » [رواه البخاري] ، فكم من صحيحِ الجسم ، ناعمِ الحـال ، ممدودِ الوقت ، يعـيش بلا أمل ، ويسـيـر بلا هدف ، ويمضي بلا غاية ، لا يفرق بين الجد واللعب ، ولا بين الحزم والهزل ، ولا الغـواية ولا الهـداية ، يقطع وقـتـه سـدى ، ويعـيش حـيـاته عـبـثـاً ، قـال سـبـحـانه : ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** ﴾ [المؤمنون : ١١٦] .

المؤمن لا يضيّع صحة جسمه ، وفراغ وقته ، وزهرة حياته ، فيما يبعده عن ربه ؛ فهو يجعل الاجتهاد غنيمة صحته ، والعمل فرصة فراغه ويأخذ من صحته لسقمه ، ومن شبابه لهرمه ، ومن غناه لفقره ، ومن فراغه لشغله ، ومن دنياه لآخرته . لا يقضي عمره في غير منفعة ، ولا يتلف جسمه في غير طاعة ، ولا يصرف أمواله في غير مصلحة . منطقه ذكر ، وصمته فكر ، ونظره اعتبار ، قدم العقل على الجهل ، والهدى على الهوى . ومن تبع العقل سلم ونجا وأفلح ، ومن تبع مطالب الحس وشهوات النفس هلك ، لأن الحس لا يرى إلا الحاضر وهو الدنيا وشهواتها والحياة وملذاتها ، وأما العقل فينظر إلى المخلوقات فيعلم وجود الخالق ، ويعلم أنه قد منع وأباح ، وأجاز وحرّم ، وأخبر تعالى أني سائلكم ومبتليكم ليظهر دليل وجودي عندكم بترك ما تشتهون طاعة لي . ومن عمل بمقتضى العقل سلمت دنياه وأخراه ، وكان عيشه أطيب من عيش صاحب الهوى ، وحياته أسعد من حياة عابد الشهوة ، وإنما فُضِّل العقل بتأمل العواقب ، فأما قليل العقل فإنه يرى الحال الحاضرة ، ولا ينظر إلى عاقبتها . فاللص يرى أخذ المال وينسى قطع اليد ، والبطال الفارغ يرى لذة الراحة ، وينسى ما تجني من فوات العلم والرزق ، وشارب الخمر يرى لذة تلك اللحظة وينسى ما تجني من الآفات ، وتجر من النكبات في الدنيا والآخرة ، وقس على ذلك ..

ويا عجباً لأناس يقتلون أوقاتهم ، ويلعبون بأعمارهم ، ويصرفون طاقاتهم في التسلية المحرمة ، والسياحة المشبوهة ، والأمكنة الموبوءة ، لا

دين يردع ، ولا حياءٌ يمنع ، ولا قيمٌ تنفع ، صُمَّت آذانهم عن نداء المولى جل وعـلا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] وذهلت عقولهم ، وشردت أذهانهم عن خبر الصادق المصدوق ﷺ : « لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيم أفناه؟ ، وعن شبابه فيم أبلاه؟ ، وماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه؟ ، وعن علمه ماذا عمل به؟ » [رواه الترمذي] ، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، وليس معنى هذا أن تكون الحياة كلها جدٌّ صارم ، وعمل مرهق ، وكد متواصل! فلا بد من ساعة وساعة ، ولا بد من جد وهزل ، وكدٌّ وراحة ، وتعب واستجمام ، فالنفوس تكل ، والأفئدة تمل ، وإنما يستعان على الجد بالترويح ، وعلى البذل بالترفيه ؛ فالترويح مطلوب ، والترفيه محبوب ، ولكنه ترويح شريف وسياحة محتشمه ، يرضى بها الرب ، ويسلم بها الدين ويُصان بها العرض ، وتسعد بها النفس ، وتستجم بها الروح ، ويفرح بها الأهل، ويسر بها الأبناء . وكل ذلك في غير ضراء مضرّة ولا فتنةٍ مضلة ، بعدٌ عن مراتع اللهو ، وهجر لأماكن الخنا ، وارتداءٌ لجلباب الحياء .

إن الناس في الإجازة الصيفية والعطلِ الرسمية على مذاهب ، وكل ينظر لها بنظر ، ويترقبها لهدف ، وينتظرها لغرض ، ويعد لها عدة . الأنفس مترقبة ، والأذهان متوثبة ، والأرواح متأهبة ، وكل الناس يغدو : فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها ، موفق يترقبها ليشغلها بصنوف البر ، وأنواع الخير ، من طلب للعلم ، أو كسب للرزق ، أو صلة للرحم ، أو

نشر للخير ، أو بذل للمعروف ، أو تسلية للأبناء، وإرضاء للأهل ، وإدخال للسرور عليهم ؛ ليطرد عنهم كآبة الامتحان وملل الدراسة ، وهم السجن وراء حيطان المنزل ، كي يعودوا بروح متغيرة ، ودماءٍ متجددة ، وقلوب نابضة ، وهمم شامخة ، ومخذول قد أعدّ العدة ، وهيأ الأغراض وبشر الأبناء ، وفرح البنات ، ولكن بجولات تعيسة ، وأفكار رخيصة ، وأماكن كافرة ، ومنتجعات فاجرة ومراتع سافرة ، لا يُعرف بها دين ، ولا تحفظ بها كرامة ، ولا تصان بها أعراض . يهتك فيها ستر الحياء ، ويمزق جلباب الإيمان ، وتداس كرامةُ الإسلام ، ولكن إذا لم تستح فاصنع ما شئت! . لن أطيل في ذكر أنواع الأسفار ، ولن أتلبث في تعديد النوايا والأفكار ، والمطامح والآمال ، فهي أمور معلومة ، وقضايا مكشوفة ، وكلٌّ أدرى بنفسه ، وأعلم بمراده .

فيا أيها المؤمن الغيور ، ويا أيها المسلم المحتشم ، هذا نداء مولاك جل وعلا : **﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** . [الكهف : ٢٨]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ . [البقرة : ١٦٩]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ . [النور : ٢١] .

وإنني أهتف إلى الأسماع بموعظة صادقة ، وأخاطب القلوب بنصيحة ماجدة ، وكلمة جامعة مانعة ، نقلتها عن أبرّ الناس ، ورويتها عن أصدق الناس ؛ هو حديث عظيم ، وخبر هائل ، تهتز له النفس ، ويسعد به القلب ، ويرقى به الفكر ، ولنا معه وقفةٌ أطول ، وشرح أكمل ، ولكنني أذكركم بكلمتين منه ، ولفظتين فقط ، لو أخذ بهما الناس لكفتاهم ، ولو أصغى لهما الملأ لحفظتاهم ، وهي قوله ﷺ : «احفظ الله يحفظْك» احفظ الله يحفظك» فمن حفظ حدود الله ، وحفظ حقوقه ، وحفظ أوامره ، وحفظ نواهيه ، كان جزاؤه أن يحفظه الله تعالى . فيا أيها المؤمن عش ناعم البال ، وسر مطمئن الخاطر ، وسافر هادئ النفس ، وارتحل سالي الفكر ، إذا كان الله حافظك ، والمولى حارسك ؛ احفظ الله في دينك ، احفظ الله في نفسك ، احفظ الله في أهلك ، احفظ الله في أبنائك وبناتك ، يحفظك الله في دينك ، ويحفظ عليك صحتك ، ويحفظ لك أهلك ، ويحفظ لك أموالك ، قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ... ﴾ ووقاية الأنفس والأهل أي حفظهم من دروب الضلال ومهاوي الردى ، وأسباب الفتن ومن ضيع نفسه ضيعه الله ، ومن ضيع دينه ضيعه الله ، ومن نسي ربه نسيه ربُّه ، قال تعالى : ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر : ١٩] .

وأخيراً بمناسبة الحديث عن السياحة .. إن هذه البلاد قد منَّ الله عليها بمدنٍ جميلة ، ومصايف رائعة ، ومناظر خلابة ، وأماكن جذابة ،

وقد أعدت عدتها ، وفتحت ذراعيها لتستقبل زوارها ومحبيها في جو رائع ، ومنظر خلاب ، ومظهر محتشم ؛ تزينت بالدين ، وتجملت بالطاعة ، وتميزت بالحياء ، وسلمت من الوباء . دينٌ ظاهر ، وأذان يُرفع ، وصلاة تقام ، وقرآن يُسمع ، فلا تتركوها إلى غيرها ، ولا تهجروها إلى سواها ، ليسلم لكم دينكم ودنياكم ، ومن حفظ الله حفظه الله .

Obeikandl.com

طريقك إلى النجـــاح

قال الله تعالى : ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ .

[النساء : ١٩]

قد يكره الإنسان شيئاً ، وتظلم حياته ، وينغص عيشه لضجره من هذا الشيء ، سواءً أكان ذلك الشيء هدفاً لم يتحقق أم أمراً وقع وهو لا يريد وقوعه . والإسلام يعلم الإنسان درساً مهماً وهو أن يزرع بوارق الأمل في نفسه دائماً ، وأن لا يضيق ذرعاً أو يحمل هماً لأمر كرهه وتبرم به ، فيجب أن تُفتح أبواب الأمل ، وتشبع روح التفاؤل ، ويتحصن بحسن الظن والرجاء ، ولم تقل الآية خيراً فقط بل قد يكون من جرّاء هذا المكروه خيرٌ كثير ، فقد يكون الخير في ثنايا الشر وإن لكل شدة فرجاً ، ولكل ضيق مخرجاً ، ولكل عسر يسرا .

كثير من الناس في هذه الأيام يعيشون حالة من التوتر ، وأنواعاً من العُصاب ، وألواناً من الهم ، وأشكالاً من الغم : ليلهم أرق ، ونهارهم نكد ، مساؤهم رجاء ، وصباحهم عناء ؛ الأعصاب متوترة والأذهان قلقة والأنفس متوثبة ، والقلوب مشغولة ، وذلك بسبب عدم القبول في الجامعات أو الكليات أو المعاهد أو ما شابه ذلك . فكثير ممن لم يحالفه

الحظ ، ولم يكتب له القبول ، ولم تتح له الفرصة ، بدؤوا ينظرون إلى الحياة نظرة سوداء ، وبدأ القلق والاضطراب والوساوس تصوب سهامها إلى قلوبهم وعقولهم حيث وجدت لها مرتعاً خصباً ، وميداناً رحباً ، وكأن الدنيا أغلقت أبوابها في وجوههم ، وكأن الحياة أعلنت ساعة الصفر لرحيلهم ، وكأن أبواب الأمل أوصدت ، ودروب الرجاء أقفلت ، ومصادر الرزق قطعت ، وهذا من ضيق الأفق ، وقلة الفهم ، وضعف اليقين ، ونقص التوكل ، وبرود الهمم ، وخور العزائم .

إن المسلم بعزيمته يتغلب على الصعاب ، ويتحدى التحديات ، ويصارع الأحداث . إذا أقفل باب فالأبواب متعددة ، وإذا تعذر مجال فالمجالات متنوعة ، إنك حينما تنظر بعين البصيرة إلى مثل هذه الأمور تجد أن الاتكالية المفرطة ، والخمول المتأصل هما اللذان يجعلان المرء يقلق لمثل هذه الأمور . فالإقبال المتزايد على الجامعات والكليات ليس كله رغبة في العلم وحرصاً على المعرفة ، وطرقاً لأبواب الفكر ، بل جلّه بحثاً عن الوظيفة ، وطلباً للمعاش بطريقة سهلة ، وجهد يسير ، وهذه الوظائف مهما كان من نفعها فقد بثت في النفوس الكسل ، وزرعت في القلوب الوهن والاتكالية ، والرضا بالواقع ، وأصبح المرء رهن راتب يتقاضاه آخر الشهر ، ولا يأتي الشهر الآخر إلا وقد بسط يده وفتح فاه ينتظر الجرعة الأخرى وهكذا دواليك . إنني أقول لكل من لم يُقبل ملفُّه ، ولم يُلتفت إلى أوراقه لا تحزن لا تهتم ، لا تغتم ، فقد يكون الخير كل الخير فيما كرهت ، قال سبحانه : ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن

تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢١٦].

من كان حريصاً على العلم ، محباً للمعرفة ، فإنها ليست حكراً على الجامعات والكليات ، وصاحب الهمة العالية ، والعزيمة المتوقدة لا يقف في طريقه لتلقي العلم شيء . وإن عظماء العالم ، وأساطين الدنيا لم يقف أكثرهم على جامعة ، ولم يتردد معظمهم على كلية ، وانظر إلى الثلة المثلى من علمائنا فهم خير مثل لذلك ، فامض في تحصيلك ، وسر في سبيلك ، وسوف يأتي اليوم الذي تسعى إليك الجامعات بدلاً من سعيك إليها بإذن الله تعالى .

ومن كان حريصاً على الوظيفة ، ومهتماً لكسب المال ، ومتحفزاً لحصول الرزق فلم تكن الجامعات والكليات في يوم من الأيام مصدراً للثراء ، وطريقاً للنماء ، وبوابة إلى الغنى ؛ بل قد يكون العكس من ذلك . فلماذا الحزن ، ولماذا الألم ، ولماذا القلق من عدم القبول؟! ، إن أبواب الرزق مشرعة ، وسبل العيش مفتحة ، والرزاق موجود ، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات : ٢٢] ، ونحن والحمد لله في بلد لا زال في عنفوان انطلاقته ، وشباب نهضته ، وهو بأمس الحاجة إلى مواهب متنوعة ، ومجالات متعددة .

أيها الآباء والأمهات ، أيها الأبناء والبنات ، لا داعي للقلق ، ولا مجال للهم ، وإليكم بعض التوجيهات الصادقة ، والتنبيهات الحانية والفوائد النافعة :

١ - لا تكرهوا من أمر الله شيئاً ، فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً .

٢ - الرضا بقضاء الله تعالى واختياره لكم .

٣ - حسن الظن بالله تعالى ، وحسن الاتكال عليه ، فإن كثيراً من الناس في غمرة الأحداث والمتاعب يتصور أن الرزق والخير هو فيما أمّله من الأمور ، وينسى أن الرزاق هو الله تعالى ، وأن خزائن السموات والأرض بيده ، فأحسِن الظن بالله ، وأحسِن التوكل عليه ، واعلم أنه تعالى عند حسن ظن عبده به .

٤ - الصبر وانتظار الفرج ، «واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا» [رواه أحمد].

إذا تضايق أمر فانتظر فرجاً
فأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٤].

كم فرجٍ بعد إياس قد أتى
وكم سرور قد أتى بعد الأسى
من يحسن الظن بذي العرش جنى
حلو الجنى الرائق من شوك السفا

«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا

obeikandl.com

للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» [رواه مسلم].

٥ - التفاؤل : فإن المسلم يجب أن ينظر دائماً نظرة ملؤها الأمل والرجاء والتفاول ، وأن ينظر إلى الجانب المشرق من الأحداث ، وقد كان ﷺ يعجبه الفأل الحسن .

إن من ينظر إلى الحياة بنظارات سوداء يعيش كئيباً في ظلام سرمدي ونكد متواصل ؛ يسقم عقله ، ويهزل ذهنه . والمتفائل الجاد يزن كل شيء بدقة ، ويلاحظ النفع كما يلاحظ الضرر ، ويبصر الحسنة كما يبصر السيئة في تفسيره للحوادث .

٦ - ابتسم في وجه الأحداث ، واضحك وأنت تتلقى الصعاب ، ولا تستسلم للأوهام والوساوس والقلق ، فالحياة كلها ليست إلا تمارين واختبارات وابتلاءات . والدنيا لا تعبس في وجه من يبسم لها ، ولا تظلم في عقل منير ، ولا تضطرب في قلب طاهر ؛ فلماذا الكآبة ، ولماذا القلق ولماذا التشاؤم؟ ، اعمل ، اجتهد ، لاحظ ، راقب ، افرح.

والعاقل الحصيف هو الذي يعجل فيبدد السحب التي تغشى ذهنه وتفكيره أحياناً ، ويسترجع تذوقه لجمالات الحياة وأفراحها ، وينطلق انطلاقة جديدة طموحة . والمبتسم في وجه الأحداث ليست ابتسامته العذبة دوماً عن فرح وسرور ، ولكنها ابتسامة يفرضها على نفسه ويرسمها على شفتيه في الساعات الحرجة بقوة وتجلد ؛ ثقة منه بالخير ،

ورضا بالقدر ، وحسن أمل في المستقبل .

قلت ابتسم يكفيك أنك لم تزل
حيـاً ولست من الأحبة معدما
قال الليالي جرعتني علقماً
قلت ابتسم ولئن جرعت العلقما
فلعل غيرك إن رآك مرنّماً
طرح الكآبة جانباً وترنّما

قد يقول قائل ، فإذا لم يقبل الإنسان في مجال من هذه المجالات ، وأخذ بهذه النصائح ، فصبر واحتسب ورضي بالقضاء ، وابتسم في وجه الأحداث ثم ماذا بعد؟ ما هو الحل؟ ما هو المخرج ؟ ما هو الدور الذي يؤديه ؟ كيف يبدأ ؟ كيف ينجح ؟ كيف يعوض ذلك ؟ هذه بعض الوصايا السريعة ، والطرق النافعة أسردها بإيجاز لكل من أراد أن يطرق مجالاً من مجالات الحياة ، ونشاطاً من نشاطات البحث عن السعادة والرزق والبعد عن البطالة ، وليست خاصة بالطلاب الذين لم يقبلوا فقط بل يستفيد منها كل أحد ، يستفيد منها المتخرج الذي لم يحصل على وظيفة ، ويستفيد منها المتقاعد ، ويستفيد منها كل راغب في النجاح ومحبٌ للتفوق :

١ - إخلاص النية لله تعالى ، وأن تزرع في قلبك حب الخير لك وللآخرين ، وأنك تأمل أن تكون عضواً نافعاً ناصحاً لدينك وأمتك ومجتمعك وأقاربك ، وأنك لا تريد أن تكون عالة على الناس ،

وكلاً على أحد .

٢ - الاتكال على الله تعالى ، وطلب المعونة ، واستمداد التوفيق منه جل وعلا ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [الطلاق : ٣].

٣ - إعمال الذهن وحسن التفكير قبل البدء في أي أمر من الأمور ، يجب أن تعطي فكرك وخيالك فترة من الزمن للتفكير الثاقب فيما يمكن أن يناسب مزاجك ، ويجد طريقاً للنجاح ، فكر بالنجاح ، وتحدث عن النجاح ، وعليك أن تصغي لدليلك الداخلي ، وما ينبعث من أعماق النفس لتتلقى إلهامات مفيدة تمشي بموجبها .
واعلم أن المرء يربح نصف المعركة بمخيلته الخصبة وتفكيره الخلاق ، ويربح النصف الآخر بتحقيق المشروعات التي ارتسمت في الذهن .
واعلم أن فكرة واحدة مدروسة قابلة للتنفيذ خير من مئة فكرة يهمل صاحبها تنفيذها ولا يشترط لكل فكرة رأس مال ضخم ، بل قد تبدأ مشروعاً من لا شيء . ومن أطرف ما قرأت في ذلك قصة رجل أجنبي سُرّح من عمله بغتة لاستغنائهم عن خدماته ، ولم يكن لديه شيء يقتات به ، ولا رأس مال يبدأ به ، فذهب إلى خارج المدينة واستأجر غرفة قديمة في مزرعة ، وكانت الغرفة وما حولها مليئةً بالقمائم ، فبدأ بتنظيف المكان ، فإذا به يلاحظ أسراباً من الدود المتجمع على هذه القمائم ، وكان هذا الموقع قريباً من البحر، فخطر في ذهنه أن يأخذ من هذا الدود طعماً يصطاد به السمك فنجحت فكرته ، فعدل عن تنظيف المكان من الدود ،

وعمل حوضاً من الإسمنت يجمعه فيه ، ليكون جاهزاً وقت اصطياد السمك ، فخطر في ذهنه أن يأخذ من هذا الدود ويبيعه الصيادين بسعر زهيد فوجد إقبالاً على فكرته فوسع الدائرة ، وبدلاً من قتل الدود أخذ يُسمّنه ويربيه ، ويبيعه للصيادين مما دفعه إلى إنشاء مزرعة كبيرة سماها مزرعة « الدودة السمينة » وأصبح بهذه الفكرة الساذجة من الأغنياء الكبار ، وعلى سذاجة الفكرة فإنها تعلمك عدم اليأس والقنوط والاستسلام للعجز والبطالة .

ولسنا بحاجة إلى مثل هذه القصص فديننا علمنا أهمية العمل والبذل وعدم الرضا بالعجز والكسل والذلة وسؤال الناس ، وأخبرنا أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

وقال ﷺ : « لأن يحتطب أحدكم حزمةً على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه » [رواه البخاري] ، وقال ﷺ : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ،وإن نبي الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده » [رواه البخاري].

٤ – يجب أن لا يختار الإنسان من الأعمال والأنشطة إلا ما تميل إليه نفسه ، ويحبه قلبه، واعلم أن أخطر مشروعين في حياتك هما :

أ – اختيار نوعية العمل الذي سترتبط به في حياتك .

ب – اختيار الزوجة التي ستكون رفيقة دربك ، وإني أعجب من أناس يقبلون على أعمال معينة ، ومشاريع محددة وهم لا يحبونها ولا

يميلون إليها ، فغالباً ما يكون مصيرها الإخفاق ، بل إن الطلاب الذين يتقدمون للجامعات والكليات كثير منهم يأتي وليس له هدف محدد ، أو طموح معين ، فكل همه أن يقبل فقط ، وفي أي قسم كان ، وقد لا يكون له ميل للدراسة أصلاً ، وقد لا يكون له ميل لبعض الأقسام التي التحق بها . والنتائج الوخيمة لهذه التصرفات تظهر منذ السنة الأولى ، حيث تجد مئات من الطلاب في قائمة المفصولين لفشلهم في الدراسة ، فلماذا ضيعوا هذا الوقت من أعمارهم ولماذا لم يبحثوا منذ الوهلة الأولى عما يعتقدون أنه يناسبهم ، وأنهم قد ينجحون فيه .

٥ – الاستشارة والاستخارة «فما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد» ومن أُعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل .

إن اللبيب إذا تفرق أمره
فتق الأمور مناظراً ومشاورا
وأخو الجهالة يستبد برأيه
فتراه يعتسف الأمور مخاطرا

وإذا استخار الرجل ربه ، واستشار صحبه ، وأجهد رأيه ، فقد قضى ما عليه ويقضي الله تعالى في أمره ما يحب .

٦ – الثقة بالنفس والسيطرة عليها . لكي تنجح عليك أن تخوض

المعركة، أن تلقي بنفسك في الميدان ، بكل عزم ومضاء وثبات ، وأن تقاوم كل ما تلقاه من عراقيل ، وكل ما يعوق سيرك من عقبات ، ولن تستطيع أن تقف هذه المواقف إذا كنت هزيل الثقة بنفسك ، ترتجف لأدنى ضجة ، وتهرب لدى أول عقبة ، وتخشى أي اصطدام، واجه العقبات برباطة جأش ، وقوة جنان ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]

قرأت عن أحد أثرياء العالم أنه رهن مصاغ زوجته في بعض الأزمات عدة مرات ، وأنه كفله بعض أقاربه في الديون أكثر من ست مرّات ، ومع ذلك صبر وصابر ، وتعب وثابر حتى نجح .

٧ – الصبر والإصرار ، فليست دروب المجد سهلة .

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وإن المرء حتى ولو كان قليل الموهبة والكفاءة ، يبلغ بالجهد والنشاط والمثابرة والصبر والمصابرة مالا يبلغه العبقري حين يهمل نفسه ولا يسيطر عليها .

٨ – عدم اليأس ؛ احذر اليأس ، والقنوط والتشاؤم ، وتوقع الخير في مستقبلك ، ووسع أفقك ، وأحسن الظن بالله .

٩ – في أوقات فراغك وترقبك لفرصة عمل أو مشروع ، احرص على الاستفادة من وقتك بتعلم كثير من الأمور التي أصبحت من

الضروريات مثل تعلم «الكمبيوتر» ، أو اللغات الأخرى ، أو فن الإدارة ، أو الالتحاق بأي دورة من الدورات المفيدة .

١٠ – لا تتعلل بأنك لست نابغة ، ولا أن الظروف لا تواتيك ، ونحو ذلك ، فالعالم لا يحتاج إلى النوابغ وحدهم ، والنجاح ليس مقصوراً على النابغين وحدهم ، وبذرة الجوافة ليس من حقها أن تطمح في أن تكون شجرة مانجو أو شجرة تفاح ، ولكن ما ضرها أن تكون شجرة جوافة حلوة لذيذة ، والحياة تتطلب الجوافة كما تتطلب التفاح .

١١ – من أحسن الوسائل للنجاح أن يكون لك مثل أعلى عظيم تطمح إليه وتنشده دائماً ، وتضعه نصب عينيك ، وتسعى دائماً للوصول إليه . واعلم أن من عزم أن يسير كيلومتراً واحد أحس بالتعب بعد الفراغ منه ، ومن عزم على السير خمسة كيلو مترات سيقطع اثنين أو ثلاثة من غير تعب لأن غرضة أوسع وهمته أكبر .

واعلم أن نجاح الإنسان في الحياة ليس بما حصله من مال أو منصب فقط .

إن الغنى والنجاح إذا طلب يجب أن يطلب بجانبه غنى النفس وتسليحها بحب الخير والعمل للخير «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» [متفق عليه] .

«واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن

ليصيبك » [رواه أبو داود وابن ماجة] ، « وقد أفلح من أسلم ورُزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه » [رواه مسلم] ، ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] .

وفقك الله لما يحب وأخذ بيدك لكل خير ، ويسر لنا ولك دروب الرزق ، وطرق الفلاح والنجاح إنه سميع مجيب ،،،

obeikandl.com

الامتحـــانــات

هذه أفكار متناثرة ، وخواطر عابرة ، ومشاعر زاخرة ، قد يبدو بينها تباعد ، ولكنه يلفها سور واحد ، وهدف ماجد .

فهي وحي الموقف ، وصدى الواقع ، وثمرة التأمل ، ونتيجة المعاناة ، وتصوير الحال . خواطر لم تأت من فراغ ، ومشاعر لم تصطنع من عدم ، بل هي أثرٌ لتأثير ، وفكرٌ لتفكير ، وعِبرٌ للتذكير .

إننا نعيش في أيام الامتحانات في تحفز وتوتر ، وتطلع وترقب ؛ همٌ ونصب سهر وتعب ، رَغَبٌ وَرَهبْ .

إن الامتحانات محنة للقلوب ، وفتنة للنفوس ، وكدٌّ للأذهان ، وتعب للأبدان . الأب يفرغ نفسه ، ويبذل ما في وسعه ، ويسخر وقته وجهده ، وماله ورفده ، وكل ما أوتي من قوة وأعطي من فتوة .

والأم فكرها يتكدّر ، وقلبها يتفطر ، تتجاذبها مشاعر الخوف والقلق والرقة والعطف ، والشفقة والرحمة ، فتراها تجري بين أولادها وبين محرابها ؛ تارة تهيئ لهم ما يشتهون ، وتقرب ما يرغبون ، وتارة إلى سجادتها تصلي وتدعو ، وتتوسل وترجو ، ثم هي تحرص على توفير الهدوء وتهيئة الجو ، وتكتم أنفاسها وأنفاس صغارها حتى تكاد تخنقهم

أحياناً لكي لا يؤذوا إخوانهم بالصياح ، أو يعثروا عليهم مسيرة النجاح .

والأبناء والبنات في فكر واستغراق ، تكاد تسقط الأحداق على الأوراق ، يضني أجسامهم الأرق ، ويكاد يودي بهم القلق .

هذا غيض من فيض ، وقطرة من بحر مما تعيشه البيوت ، وتمر به الأسر ويعانيه البشر في مثل هذه الأيام ، مع العلم أن هناك أناساً خِلوٌ من هذا كله . فهم لا في العير ولا في النفير ، ولا فرق عندهم بين القِمَّة والحضيض ، ولا بين الوزير والأجير ، قلوبهم ميتة ، ومشاعرهم باردة وأحاسيسهم خامدة .

أيها المؤمنات والمؤمنون ، أيها الآباء والمربون ، أيها المدرسون والدارسون ، تعالوا بنا نتذاكر عدداً من القضايا ، ونزْراً من الوصايا ، وتحفاً من الهدايا ؛ خواطر يسيرة ، ووصايا قصيرة ، ومواعظ مثيرة ، نقطفها من ثمار الاختبار ، ونسجلها من أسطوانات الامتحانات :

الخاطرة الأولى : وجوب الوقوف بجانب الأبناء في هذه الأيام بالحث والتشجيع ، والمساعدة والمساندة ، والترغيب والترهيب ؛ نهيئ لهم الجو المناسب ونيسر لهم المطالب ، ونذلل أمامهم المصاعب ، واعلموا أن الترغيب أفضل من الترهيب ، وبث روح التفاؤل أجمل من سريان ريح التشاؤم .

الخاطرة الثانية : زرع الإخلاص في نفوسهم ، وبث الإيمان في قلوبهم، وتعليمهم أن المسلم يجب أن يخلص أعماله كلها لمولاه ،

ويخافه ويخشاه ، وأنهم يتعلمون ليطردوا عن أنفسهم الجهل ، ولينفعوا أمتهم ، ويخدموا دينهم ويرتقوا بمجتمعهم ، فإن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطأوا فلهم أجر الإخلاص ، وإحسان القصد ، ونقاء النية .

الخاطرة الثالثة : المسلم كل يوم في امتحان ، والعجب منا أننا نبذل كل ما في وسعنا ونقدم كل ما في طاقتنا لكي يفوز أبناؤنا في الامتحان ، ونفرح غاية الفرح إن فازوا ، ونحزن غاية الحزن إن أخفقوا ، وهذا لا بأس به ، ولكن لماذا لا نحزن لهم إذا رأيناهم يخسرون الفوز الأهم؟ ، ويضيعون الهدف الأعظم؟ ، هذا الامتحان هو امتحان دنيوي لا يترتب عليه سعادة ولا شقاوة في الآخرة ، ومع ذلك نوليه غاية الاهتمام ، ونعطيه جل الرعاية ، فياليتنا نعينهم على الفوز الكبير كما أعناهم على الفوز الصغير . إن المسلم كل يوم في امتحان ، يمتحن ويختبر بأوامر الله ونواهيه ، إذا قام بالأوامر واجتنب النواهي فقد فاز في يومه ذلك وادخر أجره هنالك .

الخاطرة الرابعة : تذكر الامتحان الأعظم ، وإعداد الإجابة لما أمامنا من الأسئلة ، فلا بد للسؤال من جواب ، فيا بشرى لمن أجاب وأحسن الجواب . ولنعلم أن أسئلة الدنيا ، وامتحان البشر يمكن التحايل عليه ، إما بالواسطة ، أو الغش ، أو الرشوة . ولكن الأمر هنالك عسير ، والموقف بين يدي الله خطير ، قال سبحانه : ﴿ **وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ** ﴾ [الاعراف : ٨].

الخاطرة الخامسة : الأمانة : الأمانة حمل عظيم ، وأمر جسيم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

الأمانة أمر شامل ، ومعنى جامع ، يشمل التكاليف الشرعية كلها ، وأعمال الإنسان دقها وجلها ، فالأبناء أمانة ويجب القيام بهذه الأمانة خير قيام . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

[الأنفال : ٢٧]

وإن الأمانة التي يجب التنبه لها ، والاهتمام بها ، أمانة المدرس مع طلابه ، والمعلم مع تلاميذه ، فمن الناس من يتهاون بها ويفرط فيها . فالتدريس أمانة ، وإذا أخفق الطالب وضعف المستوى بسبب إهمال المدرس وتقصيره ، فقد خان الأمانة وغش الأمة .

ووضع الأسئلة أمانة ينبغي اختيارها بعناية ، وانتقاؤها بدراية ، فلا توضع أسئلة القصد منها تعجيز الطالب ، والهدف منها تقنيط الدارس! وفي المقابل لا توضع أسئلة ساذجة ، واختبارٌ سخيف ، يفرح به البليد ، ويصدم به المجتهد ، بل خير الأمور الوسط!!.

والمراقبة في الامتحان أمانة ، فلا نستأسد على بعض الطلاب ونحد البصر لهم ، ثم نلين الجانب لغيرهم ، ونطلق الابتسامة لآخر لأنه قريب أو حبيب أو ابن زميل أو صديق! .

والتصحيح أمانة بل وأمانة عظيمة ، يجب على المسلم أن يتقي الله فيها ، وأن يعطي كل ذي حق حقه ، وأن لا يداهن ولا يجامل ولا يغش ، فإنه بذلك يضيع الأمانة ، ويدمر الجيل ، ويعلم الخيانة ، ويزرع الأحقاد ، ويعرض نفسه لسخط الجبار ، وغضب القهار .

قال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيراً** ﴾ .

[النساء : ٥٨]

openkandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

حقيقـــة الخســـارة

الخسارة لفظ مزعج ، وكلمة ممقوته ، وعبارة بغيضة ، ومصير مؤلم ، الكل يتحاشاها ، والجميع يتفاداها ، لا يحبها أحد ، ولا يتمناها بشر ، مربكة للعقول ، قاصمة للظهور ، مدمرة للبيوت . تسهر الأعين لتسلم الخسارة ، وتكد الأذهان وتتعب الأبدان لتنجو من الخسارة ، ومع ذلك فمن الناس من يقع في شراكها ، ويتردى في أوديتها ؛ فالخاسر عينه ساهرة ، وطرفه باكٍ ، وحياته كئيبة ، وعيشه جحيم ، وحياته عذاب .

هذا بالنسبة للخسارة الدنيوية التي تعارف عليها البشر ، ولكن هنالك خسارة لا يعدلها خسارة ، وحرمان لا يوازيه حرمان .

وقد تكون خسارة الإنسان في الدنيا سبباً لفوزه في الآخرة ، وقد يكون فوز الإنسان في الدنيا خسارة له في الآخرة ، قال تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر : ٣].

من هم الخاسرون ؟

١ - **الكفر بالله** : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت : ٥٢] .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦٣].

٢ - الشرك بالله : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر :٦٥].

٣ - اتخاذ الشيطان ولياً من دون الله تعالى : ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [النساء : ١٢٠].

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة : ١٩].

٤ - الصد عن سبيل الله : ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩) أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ [هود : ١٩].

٥ - طاعة الكفار والركون إليهم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٤٩].

٦ - عبادة الله على حرف ، وطاعته على حسب المصلحة : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج : ١١].

٧ - الاشتغال بالأهل والأموال والأولاد عن طاعة الله وحسن عبادته : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون : ٩] ، ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح : ٢١].

٨ - من خسر نفسه وأهله يوم القيامة : ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر : ١٥] ، ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر : ١٦].

وقال تعالى : ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى : ٤٥].

٩ - التكذيب بلقاء الله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:٣٢].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس : ٤٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل:٤].

- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ

فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف:١٠٥].

١٠ - من خفت موازينه فجاء بأعمال ناقصة، وعبادات باهتة :
﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٨].

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ .

[المؤمنون : ١٠١]

١١ - من لم يسلم المسلمون من شرّه، ولم ينج المؤمنون من أذاه:
قال ﷺ : «أتدرون من المفلس؟» ، قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» [رواه مسلم].

openkanadi.com